

لبسك اللهم لبسك لا شريك لك

عطاء الرحمن الندوي

قال الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم :
في سورة آل عمران : ولله على الناس حج البيت
من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني
عن العالمين .

وفي سورة البقرة قال : وإن جعلنا البيت
مناجاة للناس وأمنا ، وآخذوا من مقام إبراهيم
مصلى ، وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن تطهرا
بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ،
وإن قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق
أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر
قال ومن كفر فامتنعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب
النار وبئس المصير ، وإن يرفع إبراهيم القواعد
من البيت وإسماعيل ، ربنا تقبل منا إنك أنت
السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك
ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأزنا مناسكنا وتب
علينا إنك أنت التواب الرحيم .

إذا درسنا هذه الآية القرآنية درسا عميقا
وجدنا أنها تنطوي على معان عميقة من
العقيدة والإيمان ، والعبادة والسلوك ، وعلى
تعظيم مشاعر الله وحرماته ، ونستطيع أن نفهم
عبادة الحج حق الفهم في ضوء هذه
التوجيهات الربانية ، ويتضح لنا الحج كنعمة
دينية عظيمة ، لا يوجد مثلها في أي دين سماوي
آخر غير الإسلام ، حيث فرض الله سبحانه
وتعالى الحج على المسلمين من الأمة
المحمدية الذين يستطيعون الوصول إلى
بيت الله الحرام والتمسك من أداء مناسك الحج
، ووجدنا هذه الفريضة تدور حول محور واحد

من تقوى الله تبارك وتعالى التي تذوب أمامها
جميع فوارق الجنس والوطن وحواجز
اللون والعنصر ، فيتجرد المسلمون عن
جميع الأغراض المادية والميزات القومية
والعنصرية ويتحولون إلى عباد مسلمين
لا يخضعون إلا لأوامر الله تبارك وتعالى
ويملا الجو برنين أصواتهم حيث لا يرن أي
صوت هناك إلا صوت " لبسك اللهم
لبسك لا شريك لك " .

هذه هي الكلمات التي تملأ أجواء أم القرى
مرة في كل سنة ، وترتج بها مكة المكرمة
بسفها وجبالها حينما يقترب موسم الحج
وتصل إليها مراكب الحجيج وقوافل
الهائمين من كل فج و صوب ، وهي كلمات
تفيض بنغمة حلوة تتجلى فيها روح الحب
ولذة الإيمان والحنان ، يعلن بها المسلمون
وجودهم ، ويجهرون بها وصولهم إلى البلد
الأمين ، وينادي المسلم في موسم الحج
بوحداية الله جل وعلا مسارعا بخطوات
فسيحة إلى البيت العتيق لطاعة مالك
الملك ، وقد قررت عينه بزيارة ذلك البلد الذي
طالما تمناه ورؤية موطن الرسول صلي الله
عليه وسلم والطليعة الأولى من صحابته
رضوان الله عليهم الذي وضع فيه أول بيت
للناس ، مباركا وهدى للعالمين ، وحول هذا
البيت العتيق تدور حياة المسلم في الدنيا ،
فهو في صلاته يتجه إليه ، ويعتقده قبلة
الله ليس فوقها شيء ، ولذلك فإن الحج
فصل رائع لرؤية الإيمان والحنان ، تتمثل فيه

العبودية لله تبارك وتعالى باتم معانيها حيث
خلع كل رجل ممن شهد الموسم لباسه
المخيط الفاخر ، وارتدى ملابس الاحرام
البيضا ، وتخلى عن جميع ألوان الفخفة
والثراء ومظاهر الكبر والرياء وأشكال الأبهة
والغطرسة وتواضع لله بكل ما في الكلمة من
معنى " لبسك اللهم لبسك لا شريك
لك " وهكذا يهل الحاج بالتلبية كلما صعد
مرتفعا أو نزل واديا ، وهو يتقرب هذه الفرص
الثمينة التي ينتهزها لارضاء الله عز وجل ، فلا
يالجهد في الإقبال على الله بقلبه وقالبه ،
ولا يبالي في التوصل إلى غايته بما إذا أصابه
عنت أو إرهاق ، أو لحقه ضرر وخسران . لأنه
يتمنى أن يتطهر من ذنوبه ويمثل في نفسه نموذجا
من الطهر والعفاف ، والورع والتقوى
فيتجنب كل رفث وفسوق وجدال ، لانه عرف
ما قاله تبارك وتعالى فيمن يفرض على نفسه
الحج ويصل إلى بيت الله الحرام لأداء هذه
الفريضة في الأشهر المعلومات " الحج أشهر
معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا
فسوق ولا جدال في الحج " ولأنه سمع رسوله
الكريم صلي الله عليه وسلم يقول فيما رواه
أبو هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول
الله صلي الله عليه وسلم يقول : من حج فلم
يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه " .
ويتكرر الحج كل سنة ليجدد ما طرأ
على العبد المسلم من بلى ، ويصلح ما أصابه من
زيغ ، أو ما لحقه من نقصان ، أو ما لصقه من عار ، أو
ما جف من منابع الإيمان واليقين في معاقل

وأضافة إلى ذلك قد بدأت الحكومة الحالية أن تتفكر في إعلان يوم الأحد كيوم لاجازة رسمية أسبوعية حسب النظام الغربي .

كل من هذه الخطوات تدل على نظرية خطيرة معادية شركية وبدعية للحكومة الحالية . هذا ما ذكرناه من الانحطاط الفكري والعقدي فيمن يأخذ زمام الحكومة الحالية من الحكام والوزراء .

أما الناحية السياسية فهي في حالة خطيرة أشد من النواحي الأخرى ، لأن بنغلاديش تخطو بخطاها السياسية إلى السيطرة الهندية التوسيعية الوثنية عليها سياسيا وثقافيا واقتصاديا . وكل نظام وسياسة تسير عليها الحكومة الحالية يدل على أنها تراعى مصالح الهند الوثنية وتهمل مصالح مواطني بنغلاديش كأنها مرهونه عند الهند . وكل إتفاقيه بين الهند و بنغلاديش تم التوقيع عليها خلال الفترة القصيرة الماضية (تعني مدة ثمانية أشهر منذ تولى الحكم) حققت بها مصالح الهند وبنائها من الهندوس وغيرهم واهمل بها مصالح بنغلاديش وأبناءها من المسلمين ، ولأجل سياستها الخاطئة بدأ تتحطم الأخلاق والغيرة الدينية من ميدان الثقافة والأدب . قامت عشرات من الوفود الثقافية من الرجال والنساء بزيارة بنغلاديش

الإسلام ، وأوطان المسلمين ، وإن الحج يقف بالمسلمين كل سنة أمام بيت الله الحرام ، وفي عتبات الحرم وفسحات المشاعر، لتذكير ما ينساه العبد المذنب ، القاصر، العائر، المكدر، في رحمة الحوادث والأشغال ، ولمعان المادة وبريقها ، لتتكشف الغشاوة عن بصره .

فيعرفها حق المعرفة ، ويفهمها كل الفهم ، ويتيق بها كل الثقة ، ثم يعود منها- وقد قضى مناسكه وأوفى نذوره - بإيمان جديد قوي غالب ، لا يعرف الهزيمة والإنكسار ، ويواجه الحقائق المرة والتحديات السامرة ليقضى عليها ويرد كيدها إلى نحرها . وهكذا الحج يبعث المؤمن بعثا جديدا ، ويقول : لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك .

وإن الحج لا يحارب الرذائل التي توجد في المجتمع ، وتلاصقت بالنفس البشرية رذيلة ، ولا يجهد نفسه في القضاء على علاقتها منفصلة ، بل يقضى عليها جملة واحدة ، وإن الحج يكتسح سائر الأحرار والنباتات السامة في النفس البشرية كسيل جارف قوي لا يمنعه شيء ، ثم يجعل النفوس البشرية صالحة لغرس الإيمان الخالص والعقيدة الصالحة . ولذلك حث القرآن الكريم على توجيه الدعوة إلى الناس حيث قال:

وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق .

وأظهرت نماذج من الثقافة الهندية الوثنية في كل مناطق رئيسية للبلاد ، ولأجل إتفاقيه لتبادل الثقافة الثنائية بين البلدين جعلت أن تتغير الثقافة البنغلاديشية الدينية بالثقافة الخرافية والوثنية ، نتيجة لذلك طوى بعض القيود من ميدان البرامج السينمائية التي كانت تحمي الغيرة الدينية والإيمانية في قلوب مسلمي البلاد .

وأما أحوال الأمن للدولة فهي تمثل بالسجن الذي لا مال له ولا مشرف له ولا نظام له يعمل كل واحد فيه ما يشاء كيف يشاء ، فبنغلاديش الحالية في خطر شديد من ناحية الأمن . تحطم تماما نظام الأمن فيها كان دور الإرهاب والإختطاف والإغتصاب وانتهاك الحرمات بدأ أن يلعب من جديد . قد إزداد في أونة أخيرة عدد السرقة والقتل بدون حق والاغتصاب والاختطاف في الشوارع والطرق حتى في القرى والأرياف ، وذلك لانتماء الارهابيين والسراق والمختطفين وغيرهم إلى الحزب الحاكم وتأييده لهم فيما يعملون من المنكرات .

وهكذا لو نظرنا إلى الأحوال الإقتصادية لوجدنا أن قوائم الإقتصاد للبلاد قد انكسرت ونظامه قد فسد وأسواقه قد تحطمت لفتح أبواب التجارة للتجار الهنود .

